مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2020، 20(2): 275–296
DOI: 10.31456/beytulmakdis.763037

صورة بيت المقدس وقضيته في مذكرات صناع القرار الأمريكان

محمد إلهامي*

ملخص: تناقش الورقة مذكرات عدد من صناع القرار الأمريكان وصورة بيت المقدس في مذكراتهم، وذلك في ضوء ما تتيحه من المعلومات السياسية، وفي ضوء ما تتيحه من خلفيات صناع القرار وانحيازاتهم الفكرية وتكوُّناتهم النفسية وأسلوبهم في معالجة القضايا. من جهة أخرى يُلاحظ في البيئة العلمية والأكاديمية العربية غياب التحليل للقضايا الإسلامية المعاصرة من خلال هذه المذكرات. لذا تحاول هذه الورقة سبر أغوار قضية بيت المقدس وما يحيط بها من ملابسات وأطراف كما تبدو في مذكرات ثلاثة من صناع القرار الأمريكان، وهم: كوندااليزا رايس وهيلاري كلينتون وروبرت جيتس. وقد اعتمد هذا الاختيار تنوعا في التوجه والمنصب، فالأولى عملت كمستشار للأمن القومي ثم وزيرة للخارجية فجمعت بهذا بين منصبين أمني ودبلوماسي، والثانية عملت وزيرة للخارجية وهو منصب دبلوماسي، والثالث عمل وزيرا للدفاع وهو منصب عسكري فضلا عن أنه عمل سابقا كمدير للاستخبارات الأمريكية فجمع بين المنصب الأمني والعسكري. وفي العادة يحصل نزاع على النفوذ وعلى الصلاحيات والتي تؤدي إلى علاقات سيئة، ولكن الجديد أن مذكرات الثلاثة الذين نتناولهم في هذه الورقة تفيد بأنه ورغم اختلاف توجهاتهم إلا أنه كان بينهم قدر عالٍ من الانسجام والقدرة على العمل المشترك دون نزاعات قوية أو أجواء مسمومة. تعتمد الورقة المنهج التاريخي والتحليلي والمقارن، في رسم أطراف صورة القضية وزوايا معالجتها لدي الشخصيات الثلاثة لتحليل موضع الثوابت والمتغيرات في النظر إلى قضية بيت المقدس.

الكلمات المفتاحية: بيت المقدس، أمريكا، صناع القرار، روبرت جيتس، كوندااليزا رايس، هيلاري كلينتون.

The Image of the Issue of Jerusalem (Bayt al-Maqdis) in the Memoirs of American Decision-Makers

ABSTRACT: *The paper discusses the memoirs of a number of American decision-makers and the image of Bayt al-Maqdis (Jerusalem) in their memoirs, in light of the political information this provides, and in light of the decision-makers' backgrounds, intellectual biases, psychological formations, and approaches to dealing with issues. On the other hand, it is noticeable in the Arab scholarly and academic environment that there is no analysis of contemporary Islamic issues through these memoirs. Therefore, this paper tries to explore the issue of Jerusalem and the surrounding circumstances and parties, as it appears in the memoirs of three American decision-makers, namely: Condoleezza Rice, Hillary Clinton and Robert Gates. This choice was adopted to demonstrate a variety of stances and positions: Rice first worked as a National Security Advisor, then as*

* باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، مدير وحدة "الحركات الإسلامية" بـــ"المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية" –اسطنبول، moha.elhamy@gmail.com

Secretary of State, so she combined two security and diplomatic positions; Clinton worked as a Foreign Minister, a diplomatic position; and Gates worked as Defence Minister, a military position in addition to his previously held position as the Director of Central Intelligence, so he combined positions in the security services and the military. Usually, there are power struggles over influence and the exercise of power that lead to bad relationships, but what is new in the memoirs of the three politicians is that despite their different perspectives, there was a high degree of harmony and the ability between them to work together without strong conflicts. The paper adopts a historical, analytical and comparative approach in the portrayal of issues raised by these memoirs and how these three personalities dealt with them, in order to analyse the constants and variables that arise when dealing with the issue of Jerusalem.

KEYWORDS: *Jerusalem, America, decision-makers, Robert Gates, Condoleezza Rice, Hillary Clinton.*

مقدّمة

تعوَّد صناع القرار الأمريكان إصدار مذكراتهم بُعيْد فترة عملهم في المناصب السياسية، ويُلاحظ على هذه المذكرات التناقص التدريجي في المصارحة والمكاشفة كلما تقدم الوقت، إذ تحمل مذكرات صناع القرار قبل نصف قرن من الوضوح والمعلومات بالنسبة لوقتها أكثر بكثير مما تحمله مذكرات صناع القرار المعاصرين الذين يتجاوزون بخفة وسرعة الأحداث المهمة والحساسة حفاظا على سرية المعلومات والمتعاونين بطبيعة الحال،[1] وكذلك لا شك في أن صدور المذكرات من أهم وسائل التربح المالي لصانع القرار بعد مغادرته المنصب، فمن هنا يكون حريصا على صدور مذكراته حتى لو قلّت قيمة مضمونها.

من جهة أخرى يُلاحظ في البيئة العلمية والأكاديمية العربية غياب التحليل للقضايا الإسلامية المعاصرة من خلال هذه المذكرات، وذلك في ضوء ما تتيحه من المعلومات السياسية، وأهم منه في ضوء ما تتيحه من خلفيات صناع القرار وانحيازاتهم الفكرية وتكوُّناتهم النفسية وأسلوبهم في معالجة القضايا. تحاول هذه الورقة سبر أغوار قضية بيت المقدس وما يحيط بها من ملابسات وأطراف كما تبدو في مذكرات ثلاثة من صناع القرار الأمريكان، وهم: كونداليزا رايس وهيلاري كلينتون وروبرت جيتس. وقد اعتمد هذا الاختيار تنوعا في التوجه والمنصب، فالأولى من فريق الرئيس جورج بوش الابن والحزب الجمهوري، والثانية من فريق الرئيس باراك أوباما والحزب الديمقراطي، والثالث لم ينتم لحزب منهما وإن كان جمهوري المزاج إلا أنه مخضرم خدم في عهود الجمهوريين والديمقراطيين معا، كذلك فإن الأولى عملت كمستشار للأمن القومي ثم وزيرة للخارجية فجمعت بهذا بين منصبين أمني ودبلوماسي، والثانية عملت وزيرة للخارجية وهو منصب دبلوماسي، والثالث عمل وزيرا للدفاع وهو منصب عسكري فضلا عن أنه عمل سابقا كمدير للاستخبارات الأمريكية فجمع بين المنصب الأمني والعسكري.

وفي العادة فإن العلاقات بين وزير الدفاع ووزير الخارجية في الحكومة الأمريكية علاقات سيئة، يحصل فيها نزاع على النفوذ وعلى الصلاحيات، على النفوذ في الداخل ضمن محاولات التأثير على السياسة والرئيس الأمريكي، وعلى الصلاحيات في الخارج حيث إن انتشار القوات الأمريكية في خارجها يصنع تداخلا بين الوزيرين في تحديد السياسات التي ينفذها الجيش عمليا، ولكن الجديد أن مذكرات الثلاثة الذين نتناولهم في هذه الورقة تفيد بأنه–رغم اختلاف توجهاتهم–كان بينهم قدر عالٍ من الانسجام والقدرة على العمل المشترك دون نزاعات قوية أو أجواء مسمومة.[2] تعتمد الورقة المنهج التاريخي والتحليلي والمقارن، في رسم أطراف صورة القضية وزوايا معالجتها لدى الشخصيات الثلاثة لتحليل موضع الثوابت والمتغيرات في النظر إلى قضية بيت المقدس.

وقد اخترنا تعبير "قضية بيت المقدس" وفضّلناه على مصطلح "القضية الفلسطينية" لأننا نعتقد يقينا أن هذا المصطلح هو ما يعبر عن قداسة هذه القضية وعمقها الديني والعقائدي، ليس لدى المسلمين فحسب بل لدى المسيحيين واليهود أيضا. فمصطلح "القضية الفلسطينية" أو "الصراع الفلسطيني الإسرائيلي" يبرز كمصطلح ضئيل ومراوغ، يُجَرِّد القضية من قوتها المعنوية وسلطانها الروحي وتجذرها الديني، ويحيلها إلى معنى الصراع السياسي الدنيوي الجزئي المتعلق بمساحة الأرض والموارد والحدود. ومن جهة أخرى فإن مصطلح "بيت المقدس" لا يتوقف فقط على حدود المدينة المقدسة بل هو تعبير عن إقليم من الأرض يُشار إليه أحيانا بـــ "الأرض المقدسة"، وهو الإقليم الذي يشمل ما بين جنين شمالا وبئر السبع جنوبا ومآب ومؤتة ونهر فلسطين شرقا ويدخل إلى عمق 25 كم داخل البحر المتوسط غربا،[3] فمن ثم فإن استعمال مصطلح "قضية بيت المقدس" يشتمل على معظم الأراضي التي تقع اليوم تحت مسمى الحدود السياسية لـــ "فلسطين" المعاصرة، فلا يُعَدُّ بذلك اقتطاعا أو تجزئة أو تخصيصا لجزء دون الكل. كما أن استعمالنا لمصطلح "صورة بيت المقدس" إنما كان بغرض أن يشمل بحثنا ما ورد في مذكرات هؤلاء الساسة من انطباعات وإيحاءات أخرى عن بيت المقدس –المدينة والإقليم– مما يرتبط بالموضوع ويؤثر فيه وفي تحليله مع أنه لا يتعلق بالأبعاد السياسية للقضية.

أولا: كونداليزا رايس وأسمى مراتب الشرف

وُلدت (14 نوفمبر 1954) في أسرة متدينة بالمسيحية الإنجيلية، فأبوها كاهن في الكنيسة المشيخية وأمها عازفة الأرغن في الكنيسة،[4] وقد كانت رايس عضوا في إدارة بوش، وهو متدين بالمسيحية، وكذا عموم فريق الإدارة، وتعددت مواقف أن ينشدوا معا أناشيد إنجيلية جماعية على عزف واحد منهم، كانت كونداليزا نفسها تعزف على البيانو، وكذا المحامي العام جون أشكروفت[5]، وتبدأ اجتماعاتهم بالصلوات الدينية.[6]

وفي خلال السنوات الثماني (2001–2009) التي عاشتها كونداليزا في واشنطن كواحدة من فريق بوش الابن، كانت قضية بيت المقدس تمرُّ بواحدة من منعطفاتها التاريخية، فقد اشتعلت انتفاضة الأقصى (28 سبتمبر 2000) في اللحظات الأخيرة من عهد بيل كلينتون بعد اقتحام آريل شارون –زعيم المعارضة الإسرائيلية آنذاك– للمسجد الأقصى عقيب فشل مفاوضات كامب ديفيد بين رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ورئيس الوزراء الصهيوني إيهود باراك (11 – 25 يوليو 2000)، والتي حاول الرئيس الأمريكي بيل كلينتون من خلالها أن يختم عهده بنجاح سياسي، وتطورت الانتفاضة سريعا حتى قلبت الحالة الفلسطينية والإسرائيلية، إذ أزيح باراك وجاء شارون (مارس 2001) عازما على تصفية القضية كلها، وانفلت الأمر من يدي عرفات الذي وجد نفسه وحيدا فمارس تنفيسا محسوبا على حركات المقاومة، وتصاعدت الأحداث حتى دخلت طورا جديدا بوقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) التي أطلقت الحرب الأمريكية على ما تسميه الإرهاب، وهو اللفظ الذي احتكرت تفسيره ليشمل كل حركات المقاومة بما فيها المقاومة الفلسطينية، وأعرضت الإدارة الأمريكية تماما عن عرفات وحرَّضت صراحة على أن يُستبدل به ممثلٌ آخر للفلسطينيين، وهو ما أدى إلى وفاته الغامضة (11 نوفمبر 2004)، ثم إلى انتخابات فلسطينية (25 يناير 2006) قصدت إلى تصفية القضية كلها لكن المفاجأة كانت في الفوز الكاسح لحركة حماس بهذه الانتخابات وهو ما قلب الطاولة من جديد. ومن بين الشخصيات الثلاثة التي نتناول مذكراتهم هنا فإن مذكرات كونداليزا رايس هي الأكثر تفصيلا وثراءً فيما يخص موضوعنا هنا.

تكوين صورة بيت المقدس

في إطار محاولة تكوين صورة بيت المقدس كما في مذكرات رايس، فإن أبرز ما يطالعنا هذه الفقرة كثيفة الدلالة التي تصف فيها رايس مدينة بيت المقدس كما تراها، تقول:

> مشيت في القدس وأخذت أتأمل وأفكر بأن ديانات العالم العظيمة لا تتآلف في هذه المدينة المقدسة، بل تتصادم فيها، حيث الجنود الإسرائيليون يحرسون قبة الصخرة القائمة على قمة جبل الهيكل قريبا من حائط المبكى –فقد بُنِيَت قبة الصخرة بأسلوب يُظهر هيمنتها على كامل المدينة المقدسة– والطوائف المسيحية المختلفة تتنازع فيما بينها حول أماكن لها قرب كنيسة القيامة. وجدتُ القدس مدينة ساحرة إنما مزعجة، مكانا تبرز فيه على نحو جليّ رغبة الإنسان في استغلال الدين للسيطرة على غيره من بني البشر.[7]

هذه الفقرة رغم وجازتها تستحق تعليقا طويلا –من جهة الدلالة (السيميولوجيا)[8]–حول الصورة التي تقدمها لأتباع الديانات الثلاث:

1. فاليهود يحرسون مقدسا إسلاميا، وهذا بالطبع وجه حضاري يغازل مشاعر القارئ ويلقي إليه بطبيعة الدولة الصهيونية المتسامحة ثقافيا ودينيا وبطبيعة جنودها الأكفاء المحترفين!
2. وأما النصارى فإنهم يتنازعون فيما بينهم، حول الأماكن المحيطة بكنيسة القيامة، وهذا وجه مقيت ومزعج، ومعبر عن التعصب الديني والتمسك بالصغائر.
3. وأما المسلمون فهم غائبون تماما، ولا ذكر لهم كأنهم غير موجودين بالمدينة، لكن مسجدهم بُنِي بطريقة تُظهر الهيمنة على كامل المدينة!! وهذا التوصيف يثير دلالة الاستبداد والتحكم غير الشرعي والصيغة الاحتلالية الإسلامية على المدينة.
4. ثم أطلقت وصفا مثيرا للغضب، عن استغلال الدين للسيطرة على البشر، دون أن توجه هذه التهمة لأحد بعينه.

فالخلاصة أن صورة بيت المقدس كما جاءت في هذه الفقرة لا يظفر منها بالوجه الحسن إلا اليهود، وأما غيرهم فهو إما يتنازع داخليا أو يهيمن على مشهد المدينة بطريقة غير محببة.

وفي سياق حديثها عن الانتفاضة التي اشتعلت في فلسطين، تحدثت رايس عن السبب الذي فجَّرها بطريقة خبرية عابرة باهتة، وعرضته كما لو أنها تقص أمرا طبيعيا، فاقتحام شارون للأقصى في حشد من الجنود إنما هي "زيارة جبل الهيكل ليؤكد بها سيادة إسرائيل على **أقدس الأماكن اليهودية**"،[9] بينما وصفت ردة الفعل الشعبية التي هي الانتفاضة بأوصاف التجريم والإدانة مثل: "سلسلة متوالية من الهجمات على الإسرائيليين... هجوم انتحاري... تفجير حافلة مدرسية... اختطاف وقتل إسرائيليين اثنين ..."[10] دون أن تشير إلى أعداد القتلى والإصابات الهائلة في الجانب الفلسطيني جراء الرصاص الإسرائيلي. وطوال مذكرات رايس فإن أعمال الفلسطينيين هي الهجوم بينما أعمال الإسرائيليين هي رد الفعل، والأول يحظى بالإدانة ويوضع في سياق الاستنكار، بينما الثاني يحظى بالتفهم ويوضع في سياق الإعذار.

وفي سياق آخر نستبين منه صورة بيت المقدس، دَعَتْ رايس لاجتماع بين إيهود أولمرت ومحمود عباس في القدس، وبينما هما يتناوشان بالحديث تدخلت رايس فقالت على صيغة فيها مزاح أن لديها أيضا قضية خاصة يجب أن تحل في مفاوضات الوضع النهائي المتعلقة بالقدس، قالت: "أتعلمون أنه لا يوجد مكان للبروتستانت في كنيسة القيامة؟، أريد لهؤلاء مكانا عندما تتوصلان لتسوية نهائية للقدس"،[11] وإذا أخذنا هذا القول على محمل الجد فإن عنصرا جديدا يُضاف لصورة بيت المقدس لدى صناع القرار الأمريكان المتدينين، وهو وضع البروتستانت في كنيسة القيامة. وفي زيارة بوش للشرق الأوسط (يناير 2008) تحدثت رايس في لحظة عاطفة دينية بقولها: "سرنا معا في كفر ناعوم[12] حيث أقام المسيح وعاش وبشَّر، وأحسسنا معًا بقوة اللحظة الدينية".[13]

موقف رايس من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

تضع رايس نفسها بوضوح إلى جانب إسرائيل، وتصرح بأنها تبنت وجهة نظر بوش الذي "كان متعاطفا مع وجهة نظر شارون"،[14] وحريصا على إبعاد عرفات عن القيادة الفلسطينية،[15] وقد وصل الأمر إلى أن والدة بوش نفسها سألته يوما عن شعوره كأول رئيس يهودي لأمريكا![16] من شدة انحيازه للدولة الصهيونية. وتقول رايس في صراحة ووضوح: "جعلت نفسي صديقة لإسرائيل، حيث جعلت جهودنا في الحرب على الإرهاب مرتبطة بكفاح إسرائيل...وهذا ما بعث السرور والسعادة في نفوس الإسرائيليين".[17]

كذلك تذكر رايس أنها طورت "علاقات وثيقة مع الجالية اليهودية في واشنطن ومع الإسرائيليين أيضا، ومن هذا المنطلق صار يثق بي عدد لا بأس به من الشخصيات الإسرائيلية".[18] وذكرت رايس كيف كان يتحرك اللوبي اليهودي دائما رغم الثقة الهائلة في بوش وإدارته لمنع تغيير أي وضع موجود في القضية، حتى "كانت كل تلميحة إلى تغيير الوضع الراهن تقابَل بالشك والريبة ومحاولة مساومات على كل كلمة، وكانت الاختلافات مع إسرائيل تنقل فورا إلى الكابيتول، مقر الكونغرس، وإلى جماعات الضغط... وكان لهذه الجماعات خط مباشر إلى داخل البيت الأبيض، وتحديدا عبر مكتب نائب الرئيس (تشيني)".[19] ومع هذا تقول رايس: "ولكن مهما حصل من مشاكل، كنت أذكر نفسي دوما بأنه حتى لو كان قادة إسرائيل في بعض الأوقات كابوسا لي فعلي أن أتعامل معهم، ذلك أن حليفتنا الهامة هذه هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وكانت علاقتنا معها قائمة فعلا على ما هو أكثر من مصالح استراتيجية، كنا أصدقاء".[20] في المقابل، كانت هذه نظرتها إلى العرب، تقول: "مهما يفعل المرء في سبيل السلام في الشرق الأوسط فهو ليس كافيا في نظر الأطراف العربية".[21]

وعلى مستوى الشخصيات، صرحت رايس بأنها معجبة بإيهود باراك لرغبته الصادقة في السلام وتقديم تنازلات مؤلمة، فهو "يريد اتفاقا ويلح عليه... يبدو في الظاهر أنه على استعداد للانسحاب من كل أراضي الضفة وغزة تقريبا، وأن يسمح بعودة عدد محدود من اللاجئين... وأن يجد حلا للقدس يعطي –بطريقة ما– السيادة لإسرائيل على أجزاء من المدينة المقدسة"، وذلك ما وضعه في موقف صعب في كامب ديفيد.[22] وهي في ذات الوقت معجبة بإريل شارون الذي يمثل نقيضا لباراك، والذي يطالب "بجميع أراضي الضفة الغربية وغزة والقدس، وكان جليًّا أنه لن يؤيد تقسيم الأرض وإقامة دولة فلسطينية"،[23] وهي معجبة به مع إقرارها بأنه ارتكب مذابح فظيعة في صبرا وشاتيلا (16–18 سبتمبر 1982)، وذلك لأنه "يجسد التجربة الإسرائيلية، ذلك أنه، بكل صدق، لولا تلك الشدة والمثابرة وحتى القسوة التي لا ترحم لانتهت إسرائيل وزالت عن الوجود بين جيران لها عازمين على تدميرها".[24] كان

هذا تقييم رايس لشارون قبل أن يصير رئيس وزراء، فلما صارَ، وبرغم سائر ما فعل في عهده، قالت عنه "ما يفكر به شارون لا يُظهر فقط مقدار التقدم الذي أحرزه باتجاه السلام، بل وأيضا يوضح دهاء قيادته السياسية".[25]

وفي المقابل فإن رايس لم تقدم أي تقدير نحو عرفات وإنما عرضت مواقفه ببرود وبطريقة خبرية كقولها عن مفاوضات كامب ديفيد: "كان الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات يؤكد وحتى وفاته أن الاتفاق ليس جيدا، وأبلغ إدارة كلينتون أنه سيُقتل إذا قبل به"،[26] وأنه استغل زيارة شارون للأقصى لكي يغطي "على فشله في كامب ديفيد... وتغاضى عن العودة إلى العنف".[27]

وقد بلغت حساسية رايس وحرصها على المصلحة الإسرائيلية، أنها -أثناء زيارتها للدولة الصهيونية التي كانت إبان مفاوضات كامب ديفيد (11 – 25 يوليو 2000) وقبل اندلاع انتفاضة الأقصى-عبَّرت عما شاهدته في إسرائيل من القلق من نجاح كامب ديفيد، إذ كيف لمجتمع نشأ على الصراع أن يعيش حياة من دونه؟! وناقشت في بعض جلسات داخل إسرائيل أثر توقف هذا الصراع على النمو الاقتصادي والعلمي الإسرائيلي؟!،[28] و لم تفكر في المقابل أن تتناول أو تبحث شعور الشعب الفلسطيني.

وترصد رايس، حين كانت مستشارة الأمن القومي، الخلاف بين بوش ووزير خارجيته كولن باول في سياسة الشرق الأوسط، فالأول ينحاز بقوة لجانب إسرائيل والثاني يريد أن تبدو الولايات المتحدة محايدة بين الطرفين، فكان موقف رايس أنه لم يأت "الوقت لنحاول حل التوترات الأساسية داخل الإدارة حول هذه القضية"، ولهذا ضَغَطَتْ على كولن باول حتى أَقْنَعَتْه أن يكفّ عما يفعل لكي لا يؤيد موقفه إلى اندفاع أشد من بوش باتجاه إسرائيل.[29]

تبدو رايس دائما منسجمة مع الموقف الإسرائيلي مهما كان مخالفا لأفكارها، سرعان ما تتخلى عن قناعاتها لتعتنق القناعة الإسرائيلية، لقد روت رايس موقفا مؤثرا في كلمتها عند افتتاح مؤتمر أنابوليس (27 نوفمبر 2007) حاولت أن تُظهر فيه إحساسها بشعور الأم الفلسطينية من منطلق كونها كانت فتاة سوداء في مدينة برمنجهام في زمن التفريق العنصري في أمريكا، ومن ثم فهي تعمل على إيجاد حل تزول فيه هذه المعوقات المسببة للذل والغضب من نفوس الفلسطينيين كما يزول فيه التهديد الأمني من نفوس الإسرائيليين،[30] ومع ذلك وبالرغم منه فإن جلسة واحدة مع تسيبي ليفني[31] كانت تستطيع أن تنقل رايس من موقف الإيمان بالمواطنة الليبرالية التي لا تفرق بين المواطنين على أساس العرق أو اللون أو الدين إلى الموقف المقابل الذي تكون فيه هذه التفرقة عملا متفهما ومقبولا، لقد أبدت رايس انزعاجها من رؤية تسيبي ليفني حول ضرورة أن تكون "إسرائيل" دولة يهودية نقية، لكنها –كالعادة- كانت مستعدة لتفهم الرأي الإسرائيلي وتبنيه، والوصول إلى القول بضرورة نقاء دولتهم اليهودية باعتبارها نهاية سردية

درامية يهودية طويلة تنتهي بإقامة الدولة اليهودية، وهي السردية التي يتناقض معها وجود الفلسطينيين، كان ذلك قبيل خطاب لبوش سيتناول فيه موضوع "الدولة الفلسطينية"، ولهذا أضافت عبارة لكي تُسَهِّل هضم وابتلاع الفكرة لدى البيئة العربية، عبارة تقول بإمكانية عودة اللاجئين إلى فلسطين،[32] وفلسطين في هذا النص تعني الدولة التي سيتم الاتفاق فيما بعد على حدودها وليس إلى ديارهم الأصلية التي استولت عليها إسرائيل!!

"إنجازات" رايس في الملف الفلسطيني الإسرائيلي

من وجهة نظر رايس نفسها، لا نكاد نرى لها "إنجازا" في ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلا أمرا واحدا، وهي تركز عليه بنوع من الفخر، وذلك هو عملها الجاد على تدريب قوات الأمن الفلسطينية لتتولى بنفسها فرض الأمن ومكافحة المقاومة ورفع هذا العبء عن كاهل إسرائيل، وهي المهمة التي تولاها الجنرال الأمريكي كيث دايتون[33] واعتمدت على العناصر الفلسطينية التي تحظى بثقة الإسرائيليين والأمريكان، وهي تبرر ذلك بأنه ربما ينزع الذريعة الإسرائيلية التي تقول: ليس ثمة شريك فلسطيني مستعد للسلام. وبالفعل: عمل دايتون خمس سنوات (2006–2010) في تشكيل وتدريب قوات فلسطينية لمكافحة "الإرهاب" ورفع عبء تأمين البلدات الفلسطينية عن كاهل إسرائيل.[34]

وأما مؤتمر أنابوليس فقد بدأت رايس فيه كنوع من الدعم الدولي لحكومة سلام فياض التي أثبتت أنها تعمل بجد على الطريقة التي يرضى عنها الأمريكيون والإسرائيليون، وفي أول طرحها للفكرة على بوش الابن كان همُّه أن لا تعلو التوقعات من هذا المؤتمر إذ أغلب الظن أنه لن ينتهي إلى شيء! وكان الأساسُ الذي وضع لهذا المؤتمر هو خارطةَ الطريق، وخلاصة خارطة الطريق أن تقضي السلطة الفلسطينية على "الإرهابيين" أولا، وعقب ذلك يبدأ تنفيذ الاتفاق السياسي الذي سيكون بدوره وليد مفاوضات حول القضايا الجوهرية، ويرتبط تنفيذ الاتفاق بالقضاء على "الإرهاب"، وكانت مراحل الدعوة إلى أنابوليس تتم على قاعدة مراعاة شروط الإسرائيليين والضغط على العرب للحضور، فإذا طلب أولمرت شيئا روعي في الترتيب والتنسيق وأعطيت له التعهدات والضمانات، وإذا طلب وفد عربي شيئا وُضعت له عبارة غامضة تحفظ ماء وجهه كنوع من الترضية التي لا يترتب عليها شيء، كما حدث مع السعوديين بوضع عبارة عن مبادرة الملك عبد الله أو مع السوريين بوضع عبارة عن الجولان أو مع اللبنانيين بوضع عبارة عن مزارع شبعا، وتكفَّلت رايس وضمنت لأولمرت ألا يغير هذا شيئا مما اتفقا عليه معا،[35] وفي النهاية خرج المؤتمر بشكل إعلامي دعائي مسرحي يعلن البدء بانطلاق مفاوضات بين الطرفين، ويحضر المشهد خمسون وفدا من دول لا علاقة لها بالشرق الأوسط.[36]

حتى عندما قدم أولمرت عرضا مفاجئا لم يسبق لرئيس وزراء إسرائيلي أن قدَّمه، عملت رايس على أن تضمن المسار الأمني، تقول: "كانت وجهة نظري بأنه لن يكون ثمة اتفاق دون ترتيبات أمنية موثوقة مقبولة لإسرائيل، وعلى الدولة الفلسطينية الجديدة أن تظهر للوجود بطريقة من شأنها تعزيز الأمن الإقليمي والإسرائيلي وليس أن تنتقص منه"،[37] ولهذا سعت في إدخال البنتاجون في هذه الترتيبات واستثمار علاقاتها العربية لتحقيق هذه الضمانات. لقد كانت تعمل من تلقاء نفسها على أمور لم يطلبها الإسرائيليون بعد.

وثمة مواقف متعددة ظهر منها أنها لا تفكر في مطالبة الصهاينة بشيء، من أبرزها هذا الخطاب الذي كتبته ليلقيه بوش عند زيارته لإسرائيل (مايو 2008)، كان خطابا مشوبا بالعاطفة، تقمص فيه بوش إحساس إسرائيل المستمر بكونها معرضة للأخطار، لقد خلا الخطاب تماما من مطالبة إسرائيل بشيء بل خلا من ذكر عملية السلام كلها، بل تكشف رايس أنها لم تتذكر خلو الخطاب من عملية السلام إلا أثناء إلقاء الخطاب نفسه!!! ثم إنها لم تعدم أن تجد لنفسها عذرا أو تقلل من أهمية ذكر عملية السلام في هذا الخطاب![38]

وأما العرض الذي قدَّمه أولمرت والذي يعد عرضا غير مسبوق،[39] فقد حمَّلت رايس مسؤولية فشله لمحمود عباس، رغم أن عباس لم يطلب سوى أن يراجع الخريطة المعروضة عليه مع خبراء بينما أصرّ أولمرت أن يُوَقِّع عليها الآن بلا إبطاء، ولما خاف عباس من الفخ رفض أولمرت أن يعطيه الخريطة! ورغم أن عرض أولمرت لم يكن يُوافق عليه داخل إسرائيل حتى من تسيبي ليفني وزيرة خارجيته وممثلة التفاوض عنه، ورغم أن عرض أولمرت جاء وهو محاصَرٌ ومُهَدَّدٌ بِتُهَم الفساد التي توشك أن تنهي مستقبله السياسي،[40] لم يكن العرض جادًّا أصلا ومع هذا فإن رايس حمَّلت الفشل لعباس وحده!

كانت رايس تعاني من إهانة الإسرائيليين لها بتصريحاتهم المعتادة بالاستمرار في بناء المغتصبات (الاستيطان) عقيب انتهاء زياراتها لهم، وكانت تشجب ذلك علنا، وكانت تكتفي بالشجب، وتترك الإسرائيليين يغيرون الواقع على الأرض وتقول ببساطة "حالما يكون ثمة اتفاق فسوف تكون مسألة المستوطنات موضع نقاش"،[41] هذا مع أنها تشكو مرَّ الشكوى طوال مذكراتها من أن توسع الاستيطان كانت من العقبات الأساسية في ملف التفاوض.

إذا كان ثمة ما يمكن أن يطلق عليه نجاح في مسألة ما، فهو أنها كانت تسعى إلى تعطيل مجلس الأمن عن إصدار أي قرار إدانة لإسرائيل دون أن يبدو الأمر وكأن أمريكا تستعمل حق النقض (الفيتو)، لذلك تبذل جهدها لتكسب مواقف بلدان أخرى لتعويق صدور القرار، بعد أن تكون قد اتصلت بالإسرائيليين لمعرفة متى سينتهون من حربهم لترتب الزمن المطلوب لعرقلة صدور القرار.[42]

ثانيا: روبرت جيتس والواجب

جاء روبرت جيتس وزيرا للدفاع في عهد بوش الابن خلفا لدونالد رامسفيلد الذي تورط في حربي أفغانستان والعراق، وكانت الأوضاع في كلا البلدين مزرية بالنسبة للجيش الأمريكي، ولذا تحتل قضيتا أفغانستان والعراق نصيب الأسد من مذكرات روبرت جيتس، ويَعُدُّ هو أن الإنجاز الكبير له في كونه أدار الحربين بطريقة خفضت كثيرا خسائر القوات الأمريكية. وكان جيتس قد عاد إلى منصب الوزارة بعد زمن من الانقطاع حيث كان قد تولى منصب مدير المخابرات الأمريكية في عهد بوش الأب (1991)، ورأى أن هذا الاستدعاء الذي جاءه في هذه السن المتقدمة كان بمثابة "الواجب" الذي يفرض عليه الاستجابة له، واختار هذا العنوان لمذكراته.

ومع أنه جمهوري المزاج –أو بعبارته هو: "أعتبر نفسي جمهوريا محافظا باعتدال"[43]– إلا أنه من المخضرمين الذين عملوا في إدراتي بوش وأوباما، وهذا دليل على كفاءته واحترافيته، وتَرَكَ المنصب بإلحاح منه، وكان هو الذي رشَّح ليون بانيتا ليخلفه في منصب وزير الدفاع قادما من منصبه كمدير للمخابرات الأمريكية. وهو أيضا مسيحي متدين، كما يصف نفسه.

وعموما، فمذكرات جيتس هي الأقل دبلوماسية والأكثر وضوحا بين مذكرات الثلاثة الذين نتناولهم في هذه الورقة، ربما كان هذا لعقليته العسكرية التي تهتم بوصف الحقائق كما هي لا بتزيينها كما يفعل الدبلوماسيون، ولقد كان عمله مع كل من كونداليزا رايس وهيلاري كلينتون مفيدا في أن نقرأ رواية أخرى لنفس الواقعة، ويمكن أن نسوق على هذا مثالين يختصان بموضوعنا:

1. وصفه لقوات الأمن الفلسطينية التابعة لسلطة عباس والتي دُرِّبَت على يد الجنرال الأمريكي كيث دايتون، كقوات عملية تتعاون أمنيا مع الدولة الصهيونية: "تعزيز قوات الأمن الفلسطينية في الضفة الغربية **وتعزيز تعاونها مع الإسرائيليين**"، بينما يستعمل الآخرون عبارات من نوعية مهمة حفظ الأمن وتسلم مسؤولية البلدات من إسرائيل ونحو ذلك.[44]
2. وصفه للعلاقة الباردة بين نتنياهو وأوباما، وأن الدولة الصهيونية امتنعت عن إيقاف بناء المغتصبات رغم طلب أوباما وإلحاح إدارته بهدف إحضار الفلسطينيين للمفاوضات، بل وحرص إسرائيل على توجيه الإهانات لإدارة أوباما فيما يتعلق بهذا الموضوع، لم يستنكف جيتس أن يقول بأن هذا مثل "صفعة علنية للإدارة"، و"ما جعل الأمر مهينا أكثر أن بايدن كان يزور إسرائيل في ذلك الوقت" ونحو هذا.[45]

ومن بين الثلاثة الذين نتناولهم في هذه الورقة يبدو روبرت جيتس أكثرهم رصانة واحترافية وتحفظا في دعم الدولة الصهيونية، يرجع ذلك –كما يتضح من مذكراته– لكونه عسكريا يعاني من ورطة في حربين، ومن ثَمَّ فهو دائما متحفظ في استعمال الحل العسكري، يجعله آخر الحلول، يتزعج من المطالبة

بالرد العسكري أو الاستجابة للاستفزاز، وقد وقعت غير مرة استفزازات إسرائيلية تريد أن يقوم الأمريكان بالرد نيابة عنها أو إعطاء ضوء أخضر صريح لتقوم إسرائيل بعملية عسكرية. يبدو الرجل الذي يرى أثر قراراته في هيئة ضحايا من جنوده أكثر تعقلا بكثير من وزراء الخارجية الذين لا يرون هذه النتائج. فإذا اضطر إلى القيام بالحل العسكري فهو دائما يفضل أن يقوم به في إطار الأمم المتحدة، حتى تدخل أطراف أخرى معه في هذا الحل العسكري ويتوزع العبء عليهم، ويكون فشل المساعي الدبلوماسية قد صنع ذريعة دولية مناسبة لهذا الحل العسكري، وكل هذا دون أن تتهدد المصالح الأمريكية، فالتهديد المباشر الذي لا يمكن تأجيل مواجهته يُتعامَل معه فورا ثم يكون عمل الدبلوماسية تبرير وتغطية العمل العسكري[46].

حتى في زيارته لبيت المقدس (18 إبريل 2007)، والتي يُتوقع من متدين أن يتأثر بها روحيا، لم تلتقط عينه إلا الأمور العسكرية، ولم يبدُ أنه عاش حالة روحية أو دينية، يقول:

> لطالما سحرتني هذه الطريق (إلى بيت المقدس)، بجزء كبير منها لأن المرء خلال مروره بالهضاب، يمكنه أن يرى حطام الآليات العسكرية التي تم الاحتفاظ بها منذ حرب 1948، تذكيرا بالتهديد الأمني الذي واجهته إسرائيل في تاريخها المعاصر بأكمله. كما أن الرحلة تذكرك بمدى صغر مساحة إسرائيل.[47]

يظهر أول احتكاك مع الرغبة الإسرائيلية في توصيل الإسرائيليين أخبارا أن سوريا تعمل على إنشاء مفاعل نووي بدعم من كوريا الشمالية، وذهب ديك تشيني –الذي يبدو دائما، كما في مذكرات صناع القرار المعاصرين– إلى أن على الأمريكان قصف هذا المفاعل، أما روبرت جيتس، فقد عارض هذا الحل، وكان من ضمن دوافعه (وهو موضع الشاهد هنا) أن "المصالح الأمريكية والإسرائيلية ليست متماثلة دائما"،[48] ويتخذ موقف التهديد للحكومة الصهيونية لئلا تنفرد بأمر يراه مضرا بمصالح أمريكا: "أخبرت الرئيس بشكل مباشر جدا أنه إذا هاجمت إسرائيل بجيشها (مشروع المفاعل النووي السوري) يعرض كل علاقات إسرائيل مع الولايات المتحدة للخطر"،[49] ولكن لم يكن بوش ونائبه تشيني يوافقانه ومن ثَمَّ فقد كثرت إشاراته الحانقة إليهما في مذكراته: "كان الرئيس مواليا جدا لإسرائيل –كما كان تشيني– وكان معجبا بشدة برئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت".[50]

في النهاية ضربت الحكومة الصهيونية وبشكل منفرد مشروع المفاعل النووي، ولكن دون إعلان عن ذلك كي تسحب ذريعةً قد تكون ردَّ فعلٍ من قِبَل الأسد، وهو ما تتخوف منه أمريكا، فوصلت الرسالة للمعنيين دون أن توقع حرجا علنيا على الأسد، وفاتت بهذا –كما يقول جيتس– فرصة لإحراج سوريا وإيران وكوريا الشمالية دبلوماسيا. لكن المهم هنا أن هذه الحادثة والانفراد الإسرائيلي بالرد رغم طلب بوش الابن منهم ألا يفعلوا، جعل الإسرائيليين يتقدمون خطوة أخرى إلى الأمام ويضغطون على

الأمريكان لضرب المفاعل النووي الإيراني، وإن لم يكن فبتجهيزهم عسكريا بما يُحسِّن قدرتهم على فعل ذلك. هذا الموضوع كان أبرز ما وقع فيه الخلاف بين روبرت جيتس وبين الإسرائيليين، وذكر جيتس أنه في اجتماع فريق الأمن القومي لبوش لمناقشة الموضوع، أوصى بما ينسجم مع رؤيته التي أسلفناها، يقول:

> أوصيتُ برفض طلبات الإسرائيليين كلها، فإعطاؤهم أي طلب موجود في لائحتهم الجديدة سوف يوحي بدعم الولايات المتحدة لهم في الهجوم على إيران بشكل منفرد؛ عندها سوف نفقد القدرة على التحكم في مصيرنا الخاص في المنطقة برمتها. قلتُ: إننا سنكون قد سَلَّمنا المبادرة فيا يتعلق **بمصالح وطنية حيوية للولايات المتحدة** إلى **قوة أجنبية**، وهي حكومة عندما طلبنا منها ألا تهاجم سوريا نفذت الهجوم على الرغم من ذلك.[51]

هذه المواقف والآراء لا تعني أبدا موقفا سلبيا من الكيان الصهيوني، لكنه موقف يضع مصلحة أمريكا فوق مصلحة "إسرائيل" حين التعارض، ولقد كان حريصا على توضيح موقفه هذا لقرائه الأمريكان واليهود معا، فقال: "كنت دائما، وما زلت، مؤيدا لإسرائيل، ذلك أنني، انطلاقا من حتمية أخلاقية وتاريخية، أؤمن بدولة يهودية آمنة وحيوية وتملك حق الدفاع عن نفسها. لكن مصالحنا ليست دائما هي نفسها، وسبق أن قلت إنني لست مستعدا للمخاطرة بمصالح أمريكية استراتيجية وحيوية لتبني وجهات نظر سياسيين إسرائيليين متشددين"،[52] ووصف نفسه في سياق آخر بقوله: "بصفتي صديقا مقربا جدا ومؤيدا لإسرائيل".[53]

وقد تعهد روبرت جيتس لأولمرت "أن تضمن الولايات المتحدة محافظة إسرائيل على تفوقها العسكري النوعي في مواجهة أي خصوم إقليميين محتملين من خلال تزويدها ببعض أكثر تجهيزاتنا العسكرية تطورا، بما في ذلك الطائرات التكتيكية والأسلحة والدفاعات الصاروخية، واتفقنا على وضع آلية للنظر في مخاوف إسرائيل من فقدان تفوقها العسكري النوعي. وطلبتُ من أولمرت ألا يعترض على بيع التجهيزات العسكرية، بما فيها الأسلحة، للسعودية... لأن السعودية تركز في تهديدات إيران لا في بناء القدرات لتهديد إسرائيل".[54] ثم إنه صدَّق تعهداته هذه بالعمل، حيث يقول:

> أشرفت بحماس في السنوات التالية على توسيع تعاوننا العسكري مع إسرائيل إلى حد كبير، وأصدرت توجيهاتي بتكثيف مساعي تخطيطنا العسكري حيال إيران، وزدنا من القدرات العسكرية الأمريكية في الخليج زيادة كبيرة، مهما كانت خلافاتنا داخليا أو مع إسرائيل حول ما سنقوم به بخصوص البرنامج النووي الإيراني.[55]

ومن ثم فإن "العلاقة بين وزارتي الدفاع الأمريكية والإسرائيلية ظلت قوية وبلغت مستويات غير مسبوقة من التعاون على كل الأصعدة".[56]

لا يهتم روبرت جيتس بالصراع الإسرائيلي العربي في المنطقة إلا في وجهه العسكري فحسب، وحيث إن السلطة الفلسطينية ومن ورائها العرب لا يفكرون في تهديد إسرائيل عسكريا فلم يكن ثمة ما يشغله في هذا الموضوع، سائر حواراته مع القادة العرب تتعلق بأفغانستان والعراق وإيران.

وفي المرات النادرة التي مسَّ فيها مسألة الصراع العربي الإسرائيلي في مذكراته كان أميل إلى العقلية العسكرية الحاسمة التي لا تقنع بالتدرج البطيء المميت، لقد كان هو وجيم جونز —مستشار الأمن القومي في عهد أوباما لفترة قصيرة– يمثلان فريقا جديدا يخالف في رأيه وتوجهه الفريق القديم الذي عمل في الشرق الأوسط مثل دينيس روس وريتشارد ميتشيل، يرى الفريق القديم ضرورة التقدم في صناعة مفاوضات خطوة بخطوة وبحذر شديد ومهما كانت ضآلة المكاسب، بينما يرى الفريق الجديد ضرورة أن تقوم أمريكا بوضع الاتفاقية ثم الضغط على كلا الطرفين للقبول بها مع إعطائهما مساحة للتفاوض والمناورة في بعض الأمور، لكن رؤية الفريق القديم هي التي انتصرت.[57]

ومن أثر هذا أننا لا نكاد نجد مسؤولا عربيا حظي بتقديره أو نشأت بينهما علاقة مميزة، بينما يتحدث عن علاقته بإيهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت بقوله: "كنت أحبه وأحترمه، وأرحب باجتماعاتنا دائما، أو لنقل: في معظم الأحيان"،[58] وكانت قد تكثفت العلاقة بينهما كمحاولة إسرائيلية لتليين مواقفه غير المتماهية مع الموقف الإسرائيلي في إدارة بوش، كما أن روبرت جيتس رأى في هذه العلاقة وسيلته لبيان أنه ليس ضد مصلحة إسرائيل وإنما ضد اندفاعاتها، فأثمر هذا كله علاقة تعاون متميزة بينهما، بلغ فيها معدل الزيارات أن تكون زيارة كل شهرين.[59]

وأما نتنياهو فإن روبرت جيتس يبغضه، كان أول لقاء بينهما حين كان نتنياهو نائب وزير الخارجية وذلك في عهد بوش الأب، يصف جيتس هذا اللقاء بقوله: شعرت بالإهانة من مراوغته وانتقاداته للسياسة الأمريكية —ناهيك بغطرسته وطموحه الهمجي–وأخبرت مستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت بوجوب عدم السماح بأن يطأ "بيبي" أرض البيت الأبيض مجددا".[60]

لم يكن ممكنا لرجل مثل روبرت جيتس أن يرتاح مع رجل كنتنياهو، وقد وقعت بينهما احتكاكات صاغها جيتس في مذكراته بشكل لا يخفي غضبه ولا حنقه، جيتس الذي يعتمد تقديم السياسة على العمل العسكري انزعج من حادثة مثل اغتيال محمود المبحوح (19 يناير 2010) لأنها أدت إلى إيقاف التعاون العسكري الإماراتي لفترة، ومن حادثة الهجوم على سفينة مافي مرمرة التركية (31 مايو 2010) لأنها أدت إلى قطيعة مع تركيا لفترة بعد أن تطور بينهما تعاون عسكري.[61]

وأما الخلاف الكبير الذي تواجها فيه مباشرة فيتمثل في قضيتين:

1. الأولى قضية إيران، فقد كان نتنياهو يضغط تجاه توجيه ضربة للمفاعل النووي الإيراني وجيتس يرى أن هذا من شأنه إشعال حرب جديدة غير مضمونة العواقب في الشرق الأوسط، نتنياهو يقلل من ردة الفعل الإيرانية وجيتس يرى أنها قد تكون قوية وشاملة.
2. الثاني قضية تصدير أسلحة أمريكية مميزة للسعودية، فرغم كل الضمانات التي قدمها جيتس للإسرائيليين بأن هذا لن يخدش التفوق النوعي الإسرائيلي وهي الضمانات التي أفرزت لجنة عمل مشتركة بين وزارتي الدفاع الإسرائيلية والأمريكية، إلا أن نتنياهو حاول تعطيل الصفقة وعرقلتها، ولما فشل حاول الاستثمار في صفقة مقابلة أخرى تحفظ التفوق النوعي لإسرائيل، لقد دفعت لهجته وإلحاحه جيتس إلى سرد ما فعلته إدارة أوباما لإسرائيل رغم برود العلاقات السياسية جزئيا، قائلا بغضب: "ما من إدارة أمريكية قدمت بصورة مواظبة وراسخة للدفاع إسرائيل الاستراتيجي أكثر مما قدمت إدارة أوباما، وذكرتُ نظم الدفاع الصاروخي المختلفة التي قدمناها لهم أو أسهمنا في تمويلها، بالإضافة إلى تمركز بارجة إيجيس المزودة بقدرات الدفاع الصاروخي شرقي البحر الأبيض المتوسط. تريد المزيد من التعويضات؟ إنك تحصل أصلا على تعاون في الدفاع الجوي والصاروخي بالإضافة إلى مقاتلات إف 35... بذلنا جهدا جبارا للمحافظة على تفوقكم العسكري النوعي"[62]. ولقد كان من بين تلك الضمانات التأكيدات على أن السعودية لم تطلق رصاصة واحدة تجاه إسرائيل، وأنها تهتم بإيران ولا تعبأ بإسرائيل، ثم إن هذه الأسلحة لن تستخدم من دون الدعم الفني الأمريكي.

ينصح جيتس أنه يجب على إسرائيل استثمار كل فرصة تحين لها في تقوية علاقاتها مع الدول العربية لأن ذلك يخدمها في مواجهة إيران ويرفع عنها بعض عبء هذه المعارك، ولأن الوقت ليس في صالحها لازدياد معدلات مواليد الفلسطينيين بأضعاف معدلات مواليد الإسرائيليين، ولاتساع نفوذ الإسلاميين مع الربيع العربي.[63] وفي أيامه الأخيرة بالوزارة، في غمرة الثورات العربية، زار جيتس إسرائيل لسبب أساسي، "لكي أؤكد للإسرائيليين الثبات الأمريكي في خضم الزلزال السياسي الحاصل في الشرق الأوسط"، وكرر نصائحه السابقة لكن نتنياهو لم يعبأ بنصائحه.[64]

ثالثا: هيلاري كلينتون وخيارات صعبة

تحدثت هيلاري عن زيارتها الأولى لإسرائيل (ديسمبر 1981) ضمن رحلة كنسية للحج إلى الأراضي المقدسة بمرافقة زوجها بيل كلينتون، وبعد جولتها في الأماكن المسيحية والإسلامية واليهودية قالت:

> أحببت القدس، حتى وسط هذا التاريخ والتقاليد، كانت مدينة تنبض بالحياة والطاقة، وأعجبت جدا بمقدرة الشعب الإسرائيلي ومثابرته، إذ جعل الصحراء تزهر، وبنى ديمقراطية ناجحة في منطقة تعج بالخصوم والمستبدين.[65]

ثم ألقت نظرة على الشعب الفلسطيني الذي اعترفت بأنه محروم من الكرامة والحياة الحرة، واعترفت لهم بالوجود قائلة: "شعرنا بروابط متينة تشدنا إلى الأراضي المقدسة و**شعبيها**، وعقدنا الأمل طوال أعوام، على أن يتوصل الإسرائيليون والفلسطينيون يوما إلى حل لصراعهما والعيش في سلام"،[66] إلا أنها لم تقم علاقات ودية وإنسانية إلا مع إسرائيلين قصَّت بعضا من قصصهم، وذلك في أول فصلها الذي خصصته عن الصراع العربي الإسرائيلي، وأظهرت ما استطاعت من التأسف والحزن على من قُتلوا ضحية "الإرهاب".[67]

وفي موقف متطابق مع موقف كونداليزا رايس، وموقف روبرت جيتس، تبدو مسألة إسرائيل نهاية رحلة يهودية طويلة، تقول: "لست الوحيدة في إيلاء اهتمام خاص بأمن إسرائيل ونجاحها، يعجب بها أمريكيون كثر بصفة كونها موطن شعب ظُلم طويلا، وديمقراطية عليها أن تدافع عن نفسها عند كل منعطف، تعكس قصة إسرائيل ما عانيناه، وحكاية جميع الشعوب التي كافحت من أجل الحرية والحق في تقرير مصيرها... إسرائيل أكثر من دولة، هي حلمٌ راود أجيالا، وتحقق بفضل رجال ونساء رفضوا الرضوخ لأصعب المشقات، وهي كذلك مثال الاقتصاد الناجح الذي أثبت أن الابتكار وريادة الأعمال والديمقراطية تحقق الازدهار حتى في الظروف التي لا ترحم".[68] وهذا التصوير لإسرائيل كناتج لهذه الرحلة الملحمية الطويلة هو المدخل الذي يحاول دمج المصلحة الإسرائيلية مع القيم الأمريكية، بل إنها أرادت من خلاله إعلاء النظرة الإسرائيلية على ما ترفضه "القيم" الأمريكية كاستثناء خاص كما فعلت رايس في مسألة يهودية الدولة.

وفي موقف شبيه بخطاب كونداليزا رايس في افتتاح مؤتمر أنابوليس تحدثت هيلاري أيضا عن حق الأطفال الفلسطينيين والإسرائيليين في الطفولة الآمنة والتعليم الجيد والرعاية الصحية وبناء المستقبل المشرق ونحو هذا مما يستثير التصفيق، ليتم تسجيل التصفيق في المذكرات الشخصية.[69] ثم يظل الموقف الثابت الدائم المتكرر هو التفهم لما تفعله إسرائيل، إذ "لا يتوقع من أي دولة أن تقف موقف المتفرج فيما القذائف تنهمر على شعبها وأراضيها"، لذلك فإن الموقف الدائم، "في عهد الإدارات الديمقراطية والجمهورية على السواء، التزمت الولايات المتحدة مساعدة إسرائيل على الحفاظ على التفوق العسكري النوعي على كل منافس في المنطقة، وقد أردت والرئيس أوباما أن نعليه درجة، لذلك سنعمد مباشرة إلى توسيع التعاون الأمني وتعزيز مشاريع الدفاع المشتركة بما يشمل القبة الحديدية".[70]

اقترابا من رايس وابتعادا عن جيتس تحدثت هيلاري كلينتون عن نتنياهو كمن يتفهمه، هو شخصية معقدة بحسب وصفها، لكن له من التجارب ما صنع مواقفه المتشددة هذه، فتجاربه في حرب أكتوبر، ومقتل أخيه في عملية عنتيبي 1976، وكونه سليل المؤرخ الصهيوني المتطرف بتزيون والذي آمن دائما

ومن قبل ولادة إسرائيل بضرورة امتلاكها كل أراضي الضفة وغزة وظل على هذا الرأي حتى مات 2012 عن مائة واثنين من الأعوام.[71] مع هذا كله "عملتُ ونتنياهو معا شريكين وصديقين... حتى عندما اختلفنا حافظنا على التزام التحالف الذي لا يتزعزع بين بلدينا، تعلمت أن بيبي يقاتل متى شعر أنه حُشر في زاوية، ولكن إذا تواصلت معه صديقا تحظى بفرصة لتحقيق شيء معا".[72]

تتحدث هيلاري عن زيارة لها إلى مدرسة تابعة للسلطة الفلسطينية "يتعلم فيها الطلاب الفلسطينيون **اللغة الإنجليزية برعاية برنامج أمريكي**، صودف أنهم كانوا يدرسون في أحد الصفوف تاريخ المرأة ذلك الشهر، ويطّلعون على سيرة حياة سالي رايد، رائدة الفضاء الأولى في أمريكا. بدا الطلاب، خصوصا الفتيات، مفتنونين بالقصة. وحين طلبت منهم وصف سالي رايد وإنجازاتها بعبارة واحدة ردّ أحدهم "الأمل في النجاح". كان مشجعا هذا الموقف الإيجابي بين شباب ينشأ في ظروف صعبة جدا، وشككت في أن يسمع أحد المشاعر نفسها في غزة".[73] ومع ذلك، وبعد فقرة طويلة تثني فيها هيلاري على أداء السلطة في رام الله، فإنها تلفت النظر إلى أنه بقي الكثير للقيام به، ومن ذلك "**غرس ثقافة السلام والتسامح بين الفلسطينيين**".[74] وهكذا كانت هيلاري مسرورة بهذا التغيير الثقافي الذي يستهدف إضعاف جيل يبتعد عن هويته ويدرس بالإنجليزية ويقتدي بشخصيات أجنبية وينشأ على "السلام والتسامح" مع الصهاينة، و لم يبدُ منها أي تعليق على الشخصيات أو المناهج أو الثقافة التي ينشأ عليها طلاب المدارس في إسرائيل!

حين يأتي دورُ إلقاء المسؤوليات فإن هيلاري كلينتون لا تشير إلا إلى الزعامات الفلسطينية: عرفات ثم عباس، فأما عرفات فقد واتته الفرص ولكنه ضيعها، وأما عباس فقد كان صحيح العزم على السلام ولكن الظروف لم تواته إلا أنه في بعض الأحيان يضيع الفرص أيضا، تقول: "الظروف المواتية توافرت لعرفات من دون أن يملك العزيمة لاستغلالها، فيما يبدو عباس عازما تحقيق السلام لكن الظروف لا تواتيه، على الرغم من أنني في بعض اللحظات المحبطة أتساءل عن عزمه أيضا"!![75] وأما الإسرائيليون فلا ذكر لهم مطلقا في أنهم يتحملون مسؤولية فشل المفاوضات أو جزء منها.

هذا كله بالرغم من إقرارها أن "عملية إقناع الإسرائيليين (بالدخول للمفاوضات) أصعب (من إقناع الفلسطينيين)"،[76] وبالرغم من إقرارها أن عباس قد يكون "آخر الآمال وأفضلها في شريك فلسطيني ملتزم إيجاد حل دبلوماسي، ولديه ما يكفي من العزم ليقنع شعبه به"،[77] وبالرغم من تجربتها العملية الواضحة التي شاهدت فيها تعنت إسرائيل في وقف بناء المغتصبات (المستوطنات) الذي هو البند المطلوب منها من قِبَل ريتشارد ميتشيل والمدعوم برغبة قوية من أوباما ومن مستشاره رام إيمانويل المعروف بحرصه على أمن إسرائيل!![78]

كانت هيلاري دائما ما تتفهم أفعال نتنياهو وتبحث عن المبرر لها! حتى مسألة وقف اغتصاب الأرض (الاستيطان) التي رفضها نتنياهو رغم الطلب الأمريكي الملح، صاغته بقولها "نظرا إلى علاقات نتنياهو السياسية بالمستوطنين، يمكن أن يُتوقع رفضه لأي قيد"،[79] بل إنها ترى أن الإدارة الأمريكية هي من تشددت!! تقول: "طلبنا من الإسرائيليين تجميد بناء كل المستوطنات في الأراضي الفلسطينية من دون استثناء. إذا أعدنا النظر إلى ما مضى، نجد أن **تشددنا في شأن المستوطنات** لم يؤت عملا"،[80] وتقول: "نتحمل مسؤوليةً في خلق هذا المأزق بسماحنا بأن تتحول القضية صراع إرادات"،[81] ثم تبدو جذلة مسرورة بأي تنازل يعطيه نتنياهو مهما كان بسيطا "وافق أخيرا على إيقاف جزئي لتراخيص بناء مستوطنات الضفة الغربية مستقبلا. بقي علينا أن نحدد مدة التجميد والمناطق التي سيشملها، على الرغم من ذلك كانت بداية جيدة، وتفوق ما قدمته أي حكومة إسرائيلية سابقة"،[82] كما تبدو مستسلمة أمام أي إصرار منه: "حلم الفلسطينيون بأن تكون (القدس) يوما عاصمة دولتهم الموعودة. لذا سعى الفلسطينيون إلى وقف بناء المستوطنات هناك. كانت تلك فكرة لا أمل في نجاحها مع بيبي الذي رفض تجميد البناء في أي جزء من القدس".[83]

وكان آخر ما استطاعت التوصل إليه إيقاف بناء المستوطنات لعشرة أشهر في الضفة الغربية وحدها دون أي إيقاف للمستوطنات في القدس، وكان هذا بتدخل وزير الدفاع إيهود باراك الذي تسبغ عليه أوصافا عظيمة في الحرب وفي السلام معا، ثم سعت بهذا المكسب الهزيل للضغط على عباس وحمله على المفاوضات[84]، ثم إنها عرضت الموقف المهين لجون بايدن والذي قلب الأوضاع –وهو إعلان نتنياهو في ظل زيارة بايدن عن خطة بناء مستوطنات جديدة في القدس– أقول: عرضته بطريقة خبرية جافة دون أن تشعر بالإهانة أيضا، بل حين كلفها أوباما بتوصيل رسالة قاسية لنتنياهو على هذه الإهانة فعلت هذا وهي كارهة كجزء من عملها،[85] وزادت هي في تهدئة الموضوع وشرح وجهة نظرها في خطابها أمام الآيباك بأقل قدر يمكن أن يثير اليهود في أمريكا.

تبرر كلينتون تحركها في عملية السلام بأنها كانت لأجل تأمين "إسرائيل" نفسها، فهي تتعاطف مع كل المخاوف الإسرائيلية وتتفهم الأخطار والتهديدات التي تواجهها، ومن منطلق أنها "شخص يهتم جدا بأمن إسرائيل ومستقبلها" حاولت ممارسة إقناعهم بأن إنشاء دولتين هو الأفضل لإسرائيل نفسها لأن تضاعف أعداد الفلسطينيين في ظل الدولة الواحدة سيمنعها من تحقيق هدفها في الدولة الواحدة حتى "يغدو مستحيلا في النهاية أن تُبقي على نظام حكمها: دولة ديمقراطية ويهودية في آن، عاجلا أم آجلا، سيكون عليها الاختيار بينهما، أو السماح للفلسطينيين بإقامة دولتهم"،[86] لذلك فإن التأمين الأفضل هو إقامة دولة فلسطينية تتولى العبء الأمني والإداري، ففي نظريتها أن "أفضل نظام دفاعي صاروخي يكون

بسلام عادل ودائم، وكلما طال الصراع، ازدادت قوة المتطرفين وقلّ المعتدلون في الشرق الأوسط".[87] وتعد هذه الفقرة الأخيرة اعترافا واضحا بأن فكرة السلام لدى هيلاري كلينتون لم تكن تحقيقا لمبدأ أخلاقي أو إعلاء لقيمة إنسانية، وإنما هي مجرد وسيلة برجماتية لتحقيق هدف سياسي هو تأمين إسرائيل بوسائل أقل كلفة.

الخاتمة

لعل أهم ما يُلاحظ في مذكرات صناع القرار الغربيين هو فن الصياغة، إن القدرة على التلاعب بالألفاظ والمراوغة بالعبارات والالتفاف حول المعاني مثيرة للإعجاب، وإن كانت خلقا سيئا وطبعا قبيحا، وهي عادة الباطل عندما يتزخرف ويتزين لينطلي على الناس ويخادعهم. ولا يمكن اكتشاف هذا الأمر إلا إذا كان لدى القارئ معرفة جيدة عن القضية المطروحة، عندئذ يمكنه فهم مسالك التفنن في المناورة والتلاعب. وتبدو قضية بيت المقدس واحدة من أوضح القضايا التي يخفق فيها أولئك لدى عرضها، وربما تلعب المصالح دورا في مغازلة الأطراف الأمريكية وبعض المؤسسات مثل أعضاء الكونجرس ورؤوس الأموال، إذ لا يزال السياسي طامحا في أن يعود للمنصب من جديد، حتى لو بعد سنين عديدة كما هو حال روبرت جيتس.

بعض المواقف يمكن اكتشاف التلاعب فيها من مقارنة الروايات، ومن أمثلة ذلك لقاء جمع بين روبرت جيتس وكونداليزا رايس مع الملك عبد الله آل سعود، يقول جيتس بأنه احتد على الملك في هذا اللقاء حتى نسي الدبلوماسية وخرج عنها، بينما تقول رايس بأنه كان "أكثر صراحة" في خطابه مع الملك! لقد كانت رايس ربما بحكم كونها وزيرة للخارجية أكثر قدرة على صياغة الواقعة القبيحة بألفاظ مهذبة لا تلفت النظر، ومثل هذه الصياغات تحتاج القارئ اليقظ ليحاول استكناه ما تخفيه مثل هذه الألفاظ الرقيقة.

يتمثل أهم ما يتفق فيه صناع القرار الأمريكان في انحيازهم المطلق الكامل تجاه "إسرائيل"، مهما تفاوتت بينهم درجة هذا الانحياز، فجميعهم يُصَرِّح بهذا بغير مواربة، وتعد قضية حماية أمن إسرائيل والحفاظ على تفوقها النوعي على سائر دول الشرق الأوسط من ثوابت السياسة الأمريكية، ويمكن أن تنحصر دائرة الخلاف فيما إن كان من واجب أمريكا أن تكون اليد الضاربة التي تتحرك في مصلحة إسرائيل مباشرة أم أن عليها أن تحتفظ بدور الوسيط الذي يبدو نزيها في قضية الشرق الأوسط، بقدر ما كانت إدارة أوباما تحاول لعب هذا الدور الرصين بقدر ما كانت إدارة بوش أكثر نزوعا إلى الاتجاه الأول.

كذلك تتفق الإشارات في مسألة قوة النفوذ اليهودي المؤيد لإسرائيل في البيت الأبيض والكونجرس. وأما الشيء الذي يبدو متفقا عليه ومسكوتا عنه في نفس اللحظة، كأنما هو من قبيل المعلوم بالضرورة،

هو مسألة بيت المقدس، فالجميع يذهب ويروح إلى مدينة بيت المقدس ويلتقي الحكومة في مقراتها ويبيت في فنادق المدينة ويتجول في شوارعها دون أن يطرح أي احتجاج على كونها صارت مقر الحكم الفعلي لـــ "دولة" إسرائيل، ومركزا لإدارة الحكومة واستقبال الوفود وعقد اللقاءات السياسية، تمرّ هذه المسألة دون ذكر ولا مناقشة في سياق مذكرات الشخصيات الثلاث التي تناولناها بالبحث هنا، وهذا يعد اعترافا ضمنيا بوضع الاحتلال الإسرائيلي لمدينة بيت المقدس، وهو الأمر الواقع الذي فرضته إسرائيل منذ 1948، واحتفظت أمريكا بموقفها من عدم الاعتراف بهذا من خلال بقاء سفارتها في تل أبيب، وهذا قبل أن يتحول الرئيس الأمريكي الحالي عن هذا الموقف ويقرر الاعتراف ببيت المقدس كعاصمة لإسرائيل ونقل سفارته إليها، في الواقع لم يكن موقف ترمب سوى وضع اليافطة في مكانها، فما كان اعترافا ضمنيا صار اعترافا رسميا علنيا.

وثمة شيء يبدو متفقا عليه ومسكوتا بأكثر من هذا، وهو أن هؤلاء برغم تدينهم بالمسيحية لا يثيرون أبدا، مهما كانت العاطفة الدينية مشبوبة في لحظة ما، مسألة ما ارتكبه اليهود في حق المسيح من الإيذاء والإهانة والصلب، برغم أن لحظة الصلب هي اللحظة التي بُنِيَت عليها المسيحية كلها، وهي التي يحمل كفلها اليهود، ومع هذا فإن زيارة المسؤول الأمريكي للقدس تثير –إذا أثارت– ذكرى المسيح كأمر خيالي غامض ومبهم يرفرف على الذهن للحظات عابرة دون أن يثير إشكالا وجدانيا أو يشعل عذابا لضمير المسؤول الأمريكي الذي يسعى جهده في مصلحة اليهود الذين قتلوه وصلبوه (كما في الرؤية المسيحية) فضلا عن أن يلفت النظر إلى موقع المسيح وأمه لدى المسلمين الذين يؤمنون بالمسيح واحدا من أولي العزم من الرسل وبأمه الصديقة البتول العذراء الطاهرة! لقد قيل كثيرا في موقف المسيحية الصهيونية ومحاولة تفسير سياساتها التي خالفت سياسة المسيحيين أنفسهم تجاه اليهود طوال التاريخ، ولسنا الآن بصدد الحديث في هذا، لكن لزم الإشارة إلى هذا الأمر في هذا السياق.

أما أبرز مواضع الخلاف بينهم فتتمثل في درجة التماهي بين المصلحة الإسرائيلية والأمريكية، ثمة من يرى أن المصلحة الأمريكية والإسرائيلية واحدة وأن ما هو مفيد لإحداهما بالضرورة مفيد للأخرى وبذات الدرجة، وربما يعبر عن هؤلاء ديك تشيني نائب جورج بوش الابن، بينما يقف على الجهة الأخرى روبرت جيتس الذي يفصل بوضوح بين المصلحتين ويرى أنهما متمايزان بل ومختلفتان بوضوح، وينحاز بضراوة للمصلحة الأمريكية التي تتطلب كثيرا لجم المطالب الإسرائيلية، أما كونداليزا رايس فهي أقرب إلى موقف تشيني وإن كانت أكثر تحفظا، فهي أقرب إلى رؤية التماهي بين المصلحتين ولا سيما إذا احتدمت الأمور وضغط الإسرائيليون وألحوا.

وإذا كان من توصية تقدمها هذه الورقة في الختام فهو اقتراح قيام مجموعة بحثية بالعكوف على مذكرات الساسة الأمريكان ورسم خرائط القضايا التي يتناولونها، ورصد مراتب وأولويات هذه القضايا ضمن نماذج تحليلية ابتغاء تقديم صورة مجمعة للسياسة الأمريكية تكشف عن طبيعة العقلية الأمريكية وأولوياتها وأساليب معالجاتها للمشكلات والتحديات القائمة وكيفية رسم خططها في قضايا العالم الإسلامي.

الهوامش

[1] لضرب المثال على هذا فإننا نجد موضوع الانقلاب العسكري على الرئيس محمد مرسي (يوليو 2013) لا يستغرق سوى سطر أو سطرين في مذكرات هيلاري كلينتون وروبرت جيتس، مع أنهما يسهبان إسهابا مملا في أمور أخرى تصل حد وصف الملابس والطاولات والجدران في بعض الاجتماعات. ولست أدري على وجه التحديد ما إن كانت ثمة جهات أمنية أمريكية تراجع المذكرات قبل صدورها وتحذف منها ما ترى أن نشره ضارٌّ، أم أن هذه الرقابة تكون ذاتية يمارسها الكاتب على نفسه لا سيما وهو نفسه كان خبيرا وصانع قرار؟!

[2] روبرت جيتس، **الواجب: مذكرات وزير الدفاع الأمريكي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية سابقا**، ط1، بيروت: شركة المطبوعات، 2017، ص337، 338؛ كوندوليزا رايس، **أسمى مراتب الشرف: ذكريات من سني حياتي في واشنطن**، ترجمة: وليد شحاتة، بيروت: دار الكتاب العربي، مايو 2012، ص809.

[3] أخذت هذه الحدود من دراسة د. خالد العويسي، إعادة اكتشاف حدود بيت المقدس، ضمن: د. عبد الفتاح العويسي، **البعد الأكاديمي والمعرفي لبيت المقدس: التعريف بأركان الحقل المعرفي الجديد في العالم العربي**، صنعاء – المملكة المتحدة: مركز البحوث الاجتماعية والإنسانية بجامعة العلوم والتكنولوجيا – مجمع البحوث الإسلامية إسراء، 2008، ص100 وما بعدها.

[4] رايس، أسمى مراتب الشرف، ص111.

[5] جون أشكروفت (9 مايو 1962 –...) محام وسياسي أمريكي، شغل منصب النائب العام بين عامي (2005–2001)، وشغل قبلها منصب النائب العام لولاية ميزوري (1985–1976)، ثم حاكما لنفس الولاية (1993–1985)، ثم شغل منصب سيناتور في مجلس الشيوخ الأمريكي عن نفس الولاية (2001–1995). وله عدة مؤلفات.

[6] السابق، ص116.

[7] السابق، ص78.

[8] مع الإقرار التام بأن الحديث في مجال الدلالة والإشارة وحقل السيميولوجيا لا يناسبه الاعتماد على نص مترجم، إلا أننا تساهلنا هنا في الأخذ بهذا لأننا في إطار تحليل لنص سياسي مباشر وليس نصًّا أدبيا عميق الغور، فالنص السياسي –لا سيما في المذكرات التي تكتب بعد انقضاء الجانب الأهم والأكبر من الغرض الدبلوماسي–يكاد يكون نصًّا يحمل دلالات ومضامين أقرب جدا إلى أن تكون مباشرة، وهو لا يشبه في هذا النص الأدبي الذي يحفل بالإيحاءات وفيه يزدهر التحليل السيميولوجي المعمق.

[9] السابق، ص78.

[10] السابق، ص78.

[11] السابق، ص631.

[12] هكذا كتبت في الأصل والصحيح: كفر ناحوم.

[13] السابق، ص704.

[14] السابق، ص79.

[15] السابق، ص177.

[16] السابق، ص177.

[17] السابق، ص164.

[18] السابق، ص165.

[19] السابق، ص164.

[20] السابق، ص165.

[21] السابق، ص165.

[22] السابق، ص75.

[23] السابق، ص77.

[24] السابق، ص76، 77.

[25] السابق، ص326.

[26] السابق، ص77.

[27] السابق، ص78.

[28] السابق، ص76.

[29] السابق، ص81.

[30] السابق، ص697، 698.

[31] تسيبي ليفني (8 يوليو 1958 –...)، وزيرة خارجية إسرائيل (2006 – 2009) ضمن حكومة آريل شارون، وشغلت منصب وزير الزراعة والتنمية لثلاثة أشهر قبل ذلك (ديسمبر 2002 – فبراير 2003)، وكانت لفترة طويلة عضوا بالكنيسيت، وتولت زعامة حزب كاديما، وحققت الأغلبية البرلمانية في انتخابات (2009) إلا أنها أخفقت في تشكيل الحكومة. وهي من الشخصيات الإسرائيلية القوية منذ كانت عميلا لجهاز الموساد، ويلقبها البعض بجولدا مائير الثانية.

[32] السابق، ص328، 329.

[33] كيث دايتون (7 مارس 1949 –...) جنرال عسكري أمريكي عمل ضمن الفريق العسكري للسفارة الأمريكية في روسيا، وخدم ضمن القوات الأمريكية في العراق، ولكن الدور الأبرز له هو إشرافه على تدريب القوات الفلسطينية في الأردن لتأهليها للسيطرة على الضفة الغربية.

[34] السابق، ص652.

[35] السابق، ص682 وما بعدها.

[36] السابق، ص695 وما بعدها.

[37] السابق، ص738.

[38] السابق، ص740.

[39] يتلخص العرض في احتفاظ إسرائيل بحوالي 6% من أراضي الضفة الغربية المحتلة بعد 1967، والسماح بعودة خمسة آلاف لاجئ فقط إلى إسرائيل، واقتسام القدس إلى شرقية تكون عاصمة لفلسطين وغربية تكون عاصمة لإسرائيل، مع بقاء منصب رئيس البلدية لإسرائيلي وله نائب فلسطيني، وثمة مجلس حكماء ممثل من حكماء عرب له إشراف دون سيادة على وضع المقدسات، مع الهيمنة الإسرائيلية الأمنية، ثم هناك شروط أخرى تتعلق بالأمن لم تذكرها رايس، وأغلب الظن أنها أخفتها عمدا لكي لا يبدو المشهد سوداويا مجحفا.

[40] السابق، ص814، 815.

[41] السابق، ص815.

[42] السابق، ص816، 817.

[43] روبرت جيتس، الواجب، ص355.

[44] السابق، ص346.

[45] السابق، ص469.

[46] يقول في فقرة لخص فيها سياسته، مع تناثر هذا المعنى في سائر مذكراته: "سلكت نهجا طيلة مدة ولايتي كوزير مصمما على تجنب أي حروب جديدة في الوقت الذي كنا لا نزال فيه متورطين في العراق وأفغانستان. هل تذكرون المثل القديم القائل "عندما تجد نفسك في حفرة فإن أول ما ينبغي أن تفعله هو التوقف عن الحفر"؟ ما بين العراق وأفغانستان أعتقد أن الولايات المتحدة كانت في حفرة عميقة جدا. إن كنا في مواجهة تهديد عسكري خطير للمصالح الحيوية الأمريكية فسأكون أول من يُصِرّ على رد عسكري ساحق، لكن في غياب مثل هذا التهديد لا حاجة للذهاب والبحث عن حرب أخرى. احتفظتُ بقول لونستون تشرشل يعود للعام 1942 في درج مكتبي ليذكرني كل يوم بحقائق معينة "لا تظنن على الإطلاق أن أي حرب ستكون سلسة وسهلة، أو أن أي شخص يبدأ هذه الرحلة الغريبة يمكنه أن يعرف المد والجزر والأعاصير التي سيواجهها. على رجل الدولة الذي يستسلم لحمّى الحرب أن يدرك أنه بمجرد أن تُعطى الإشارة، لن يعود مسيطرا على السياسة وسصبح رهينة الأحداث الخارجة عن التوقعات والسيطرة". لذلك عارضت العمل العسكري كخيار أول". انظر: ص219.

[47] السابق، ص220.

[48] السابق، ص208، 209.
[49] السابق، ص211.
[50] السابق، ص210، وانظر مثلا: ص212.
[51] السابق، ص228.
[52] السابق، ص212، وانظر: ص229، 230.
[53] السابق، ص472.
[54] السابق، ص220، 221.
[55] السابق، ص230.
[56] السابق، ص460.
[57] السابق، ص353، 354.
[58] السابق، ص231.
[59] السابق، ص460.
[60] السابق، ص460.
[61] السابق، ص471، 472.
[62] السابق، ص471.
[63] السابق، ص472، 629.
[64] السابق، ص629، 630.
[65] هيلاري كلينتون، **خيارات صعبة: مذكرات هيلاري رودهام كلينتون**، ترجمة: ميراي يونس وآخران، ط1، بيروت: شركة المطبوعات، 2015، ص298.
[66] السابق، ص298.
[67] السابق، ص298 وما بعدها.
[68] السابق، ص299، 300.
[69] السابق، ص301.
[70] السابق، ص301، 302.
[71] السابق، ص302.
[72] السابق، ص303.
[73] السابق، ص304.
[74] السابق، ص306.
[75] السابق، ص306.
[76] السابق، ص307.
[77] السابق، ص308.
[78] السابق، ص310، 311.
[79] السابق، ص309.
[80] السابق، ص310.
[81] السابق، ص311.
[82] السابق، ص311.
[83] السابق، ص311، 312.
[84] السابق، ص312.
[85] السابق، ص313، 314.
[86] السابق، ص307.
[87] السابق، ص308، وانظر: ص314.